كلمة الدكتور

ابراهيم بيومي مدكور

الأمين العام لمجمع اللغة العربية بالقاهرة

في الاحتفال بمرور خمسين عاماً على تأسيس مجمع دمشق

سيدي الرئيس ، ساداتي !

أحمل إليكم تحية مجمع شقيق ، يقدر ما لمجمعكم من فضل السبق ، ويتمنى له دوام السداد والتوفيق . وأحمل إليكم تحية المجمعيين جميعاً الذين يعتزون باخوتكم ، ويعتدّون بزمالتكم ، وكم كان يود الدكتور طه حسين رئيس مجمع القاهرة ، والأستاذ زكي المهندس نائب الرئيس أن يشتركا في حفلكم هذا ، لولا ظروف صحية قعدت بهما ، وهما يبعثان إليكم بأطيب الأماني ، وأصدق التهاني ببلوغ مجمع دمشق عامه الخمسين .

يحق لمجمعكم أن يباهي بأنه أبو المجامع العربية الحديثة القائمة ، ولد في أخريات العقد الثاني من هذا القرن ، وسار على الدرب يشق الطريق ويذلل الصعاب . ولدت قبله في مصر مجامع أخرى في أخريات القرن الماضي وأوائل هذا القرن ، ولكن لم يقدر لها حياة ولا بقاء ، وقد جاء تلبية لحاجة ماسة ، واستجابة لوعي جديد ، وحمل رسالة لم يحملها مجمع آخر ، فاضطلع بها في صبر وجلد ، ورعاها في حماس ورغبة ، وكأنما أريد به إلى جانب خدمة اللغة ، أن يقوم على نفائس الماضي جميعها في العلوم والآداب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والفنون . فطلب إليه أن يجمع الكتب مخطوطة كانت أو مطبوعة ، ويؤسس لها داراً عامة ، وأن يجمع الآثار القديمة عربية كانت أو غير عربية ، وينشيء لها متحفاً خاصاً . مهمة ولا شك شاقة ومتنوعة ، وربما تنوء بها هيئات مختلفة ، ولكنه أبى إلا أن يضطلع بها ، وقد بذل في سبيلها ما وسعه ، وجمع لسورية تراثاً يعتد به .

والكتب الإسلامية ، فيما عدا ما يقتنيه الأفراد ، موزعة من قديم بين دور العلم والمساجد والتكايا ، إن في الشام أو في غيرها من البلاد العربية . فكانت معرضة للضياع ، وقد تسرب منها ما تسرب . وفي أخريات القرن الماضي أريد هنا تركيزها وجمعها في مكتبة عمومية بالمدرسة الظاهرية تحت إشراف لجنة خاصة تابعة لدائرة الأوقاف . وقد غذيت بمكتبات دمشق الفرعية ، وتوافر لديها نحو ٢٥٠٠ مجلد . وما إن أنشيء المجمع العلمي حتى ضمت هذه المكتبة إليه ، وسميت « دار الكتب العربية » ، ووقف عليها بناء الظاهرية . وأخذ المجمع في ترتيب شئونها ، وتزويدها بأنفس المطبوعات والمخطوطات ، فوضع نظاماً لدخولها والاستعارة منها ، وحاول ترتيب كتبها وفهرستها . وبعث البعوث شرقاً وغرباً لجمع الكتب والمخطوطات شراء أو استهداء ، وعلى رأسها بعثة إلى القاهرة عام ١٩٢٤ ، وقد عادت ومعها نحو ١٦٠٠ مجلد من الكتب النفيسة . واستنسخ الكتب العربية النادرة من مكتبات أوربا أو صورها . وأشرف على دار الكتب نفر من أعضائه ممن لهم خبرة واسعة في المراجع والكتب العربية ، وتولى إدارتها بعض من تخصص في فن المكتبات ، فنهضوا بها نهضة ملحوظة ، وأصبحت تشتمل على نحو عشرة آلاف مخطوط ، وما يزيد على مائة ألف كتاب مطبوع ، وهي دون نزاع مكتبة سورية الكبرى .

★ ★ ★

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وكانت آثار الشام عرضة للسلب والنهب في العهد التركي ، تواردت عليها في النصف الثاني من القرن الماضي بعثات أوربية للحفر والتنقيب ، فأخذت منها ما أخذت ، ونقل منها الحكام الأتراك إلى الآستانة ما نقلوا . ولم يتنبه إليها إلا في عهد الحكومة العربية ، فأمر بانشاء متْحف لها مقره المدرسة العادلية . وقد ألحق بالمجمع العلمي ، الذي قضى نحو عشرين عاماً يرتب أموره ويسهر عليه ، ولم يتردد في أن يستعين ببعض الخبراء ، وكون لجنة لدراسة مشكلة الآثار في سورية بوجه عام ، وأوفد مدير المتْحَف السيد الأمير جعفر الحسني أمين المجمع اليوم إلى باريس لدراسة نظام المتاحف ، فحمل معه آراء نافعة ، وبعث في المتْحف حياة جديدة . وقد جمعت الآثار المبعثرة في أماكن متفرقة ، وبذلت عناية خاصة في حفظها ، ونظم أمر الحفر والتنقيب ، وأسهم الانتداب الفرنسي في ذلك بعض الشيء ، وحاول حماية الآثار السورية من السلب والنهب ، ولم يلبث المتحف الشاب أن تحول إلى دار آثار زاخرة بتحفها ونفائسها ، وسُلِّم في عام ١٩٣٧ إلى مديرية الآثار العامة ، وأصبح مؤسسة مستقلة مالياً وإدارياً .

★ ★ ★

وقد سلك مجمع دمشق في خدمة اللغة مسلكاً لم تجاره فيه المجامع العربية الأخرى كثيراً ، فحاول إصلاح لغة الدواوين التي كانت قد طغت عليها التركية ، وطلب إلى دوائر الحكومة أن تقفه على ما تحتاج إليه من ألفاظ وعبارات ، وأرسلت إليه قوائم شتى حرص على مراجعتها مع مندوب من الدائرة المختصة . فعدل ألفاظاً ومصطلحات . وأصلح تعابير واستعمالات ، وطلب إلى رؤساء الدواوين ورجال الصحافة ، أن يستعملوا مقترحاته ، فيقربوها إلى الناس ، ويزيدوهم بها إلفا ، وعُني باللغة في معاهد التعليم ، فحاول

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أن يطورها ، وأن يجعلها ملائمة للعصر وحاجاته ، إنْ في المدرسة الثانوية أو في الجامعة ، وراقب لغة الكتب المدرسية ، فلم يكن يسمح بتدريس كتاب إلا إذا وافق عليه . ووضع مشروع كلية الآداب لنشر اللغة الفصحى والآداب العربية ، ولم يتردد في أن يسهم في إعداد طلاب هذه الكلية ، بتزويدهم بعض الدروس التمهيدية في علوم الأدب واللغة . .

ولم يقنع بخدمة اللغة في هذا المجال الخاص ، بل أبى إلا أن يمتد نشاطه إلى المجال الشعبي . فأعد قاعة للمحاضرات العامة ، دعا إليها الرجال والنساء ، ونظم فيها محاضرات دامت نحو خمسة وعشرين عاماً ، توقفت حيناً ، ونشطت حيناً آخر . وفي هذه القاعة العامرة ألقى بضع مئات من المحاضرات العامة ، اضطلع بها نفر من كبار الباحثين رجالاً ونساءً ، بين سوريين ، وعرب ، ومستعربين . وفيها أدب ولغة ، أخلاق ودين ، تاريخ وحضارة ، اقتصاد وسياسة ، علم وفلسفة ، وقد نشر قدر كبير منها ، ولا يزال زاداً صالحاً للباحثين والدارسين .

واستن سنة حسنة في تكريم كبار الأدباء والشعراء ، فأقام مهرجانين عظيمين لمرور ألف عام على وفاة المتنبي وأبي العلاء . وقد سارت بهما الأمثال ، وأسهم فيهما عدد غير قليل من الأدباء والشعراء العرب والمستعربين ، ومثلت فيهما البلاد العربية على اختلافها . وإلى جانب هذين المهرجانين الكبيرين أقام عدة حفلات للتأبين أو للتكريم ، وكان في تأبينه وتكريمه سمحاً لا يتقيد بجنس أو وطن ، بل لعل نصيب غير السوريين منها أعظم من السوريين أنفسهم . فأبّن طاهر الجزائري ، وأحمد كمال المصري ، ومحمد رشيد رضا ، ومحمود شكري الألوسي ، ومصطفى لطفي المنفلوطي ، وكرّم وأبّن أحمد شوقي وحافظ إبراهيم ، وكرّم الشاعر المصري محمد الهراوي . وامتد تكريمه إلى

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بعض شباب الناشئين من أبناء سورية ، تشجيعاً لهم ، وحثاً لغيرهم أن يسيروا على نهجهم ، وقد أضحوا اليوم في مقدمة الشعراء والأدباء ، وأذكر من بينهم الأستاذين زكي المحاسني وأنور العطار .

ورأى تفشي الأغلاط اللغوية والنحوية في الصحف والمطبوعات ، فأراد تداركها ، واستحدث ما سمّاه « عثرات الأقلام » وتلك سنة أخرى تذكرنا بما أخذ به بعض اللغويين المعاصرين ، أمثال أحمـــد العوامري والدكتور مصطفى جواد . فكان يجمع الأغلاط الشائعة ، دون ذكر لأسماء من وقعوا فيها ، ثم يحاول تصحيحها بعد تثبت ومراجعة ، وينشر التصحيح في الجرائد المحلية تباعاً ، وأفسح المجال للتعليق والرد ، فأثار بذلك حركة أدبية ولغوية نافعة . وحرص على أن يسجل تصحيحاته في مجلته ، وتوافر له بذلك نحو ثلاثين مقالة ، فيها درس وبحث ، وتحقيق وتحرير ، وقد قاده هذا إلى أن أصبح « شبه دار للفتوى اللغوية » ، فكانت توجه إليه أسئلة عن بعض الكلمات الغريبة والمصطلحات الفنية ، وما كان يتردد في الإجابة عنها .

ومجلة المجمـــع من أعماله الخالدة ، بدأ في إخراجها عام ١٩٢١ ، ثم استمر يرعاها ويسهر عليها حتى الآن . توقفت عن الظهور مرتين ، ولكنها استطاعت أن تستعيد نشاطها وقوتها . أريد بها في البداية أن تكون شهرية ، ثم أخرجت كل شهرين ، وأضحت أخيراً ربع سنوية ، واستقرت على هذا الوضع ، وبدت في مظهر وحجم ثابت تقريباً . وتعد اليوم بين الباحثين من المصادر التي يرجع إليها ، فيها أدب ولغة ، تاريخ وآثار ، وفيها تعريف بالمخطوطات ونقد لأشهر المؤلفات ، وبخاصة ما اتصل منها بالإسلام وحضارته .

أما في عالم النشر والتحقيق فقد أخرج نفائس يعتدّ بها ، عهد بها إلى محققين أعلام أغلبهم من أعضائه ، فروّوا فيها ، وتثبتوا من أصولهـا ، وجلوا غامضها ، ثم أخرجت في ثوب أنيق جذاب . فيها أدب ولغة ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

علم وفلسفة ، ويدور معظمها حول التاريخ . وتاريخ دمشق بوجه خاص . فأخرج المجمع ما عثر عليه من أجزاء نشوار المحاضرة للتنوخي ، والدارس في تاريخ المدارس للنعيمي الدمشقي ، وفضائل الشام ودمشق للرَبَعي ، وأمراء دمشق للصفدي . ويهدي المجمع مطبوعاته إلى جميع الجامعات والمعاهد والمؤسسات الثقافية المعنية بالعربية وآدابها ، ولا يبخل بها على كبار المشتغلين بالأدب واللغة من عرب ومستعربين ، وهم يرقبونها دائماً في شوق ورغبة .

★ ★ ★

سيداتي ، سادتي !

إن بلدكم في عروبته لجدير بمجمعكم هذا ، وإن مجمعكم في ماضيه وحاضره لخليق بكل تأييد وتعزيز . لقد مرَّ بأيام مزدهرة ، وهو أهل لأن تزدهر أيامه دائماً . وهو ولا شك وسيلة ناجعة من وسائل تطوير اللغة والنهوض بها ، وخدمة ضرورية لسلسلة نهضاتكم الثقافية والعلمية ، وهمزة وصل بينكم وبين المجامع العربية الأخرى .

وقد تساءلنا عن ضرورة إنشاء مجمع موحد للبلاد العربية جميعها ، أو عن قيام اتحاد يضم المجامع المختلفة . وكل عمل ثقافي في سبيل الوحدة نافع ومفيد ، ولكنني أعتقد أننا ، حتى بوسائلنا الحاضرة ، نستطيع أن نسير باللغة في طريق الوحدة العلمية والحضارية ، إنْ تلاقينا وتبادلنا الفكرة واللفظ الدال عليها ، ولقاؤنا اليوم خير شاهد على ذلك . ولا أكتمكم أني شعرت بأنا إلى حد ما منفصلون ثقافياً ، فمطبوعاتنا غير متبادلة في يسر ، ولقاءاتنا العلمية قليلة ، وما أجدرها أن تسمو إلى مستوى لقاءاتنا الأدبية . وأظنكم تتفقون معي على أن لغة الأدب لا عزلة فيها ولا فرقة ، فلم لا تكون لغة العلم مثلها ؟

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وإني باسمي واسم مجمع القاهرة أشكر لكم أن أتحتم لنا فرصة هذا اللقاء ، أشكر للسادة وزير التعليم العالي ، ورئيس المجلس الأعلى للعلوم ، ورئيس جامعة دمشق ما شملونا به من عناية ورعاية . أما المجمع الشقيق والسيد رئيسه فهم منا وإلينا ، غمرونا بفضلهم وأسبغوا علينا عطفهم ، وشعب سورية كله مضياف كريم .

★ ★ ★

إن صلة مجمع القاهرة بمجمع دمشق وثيقة من قديم ، فمن بين أعضائه العشرين المؤسسين كان ثلاثة من أعضاء مجمعكم العلمي العربي ، وهم رئيسه الأول محمد كرد علي ، وشيخه الجليل عبد القادر المغربي ، ولغويه الكبير عيسى اسكندر المعلوف . ولقد أبلوا في مجمع القاهرة بلاءً حسناً ، وغذوه بغذاء متصل ، ولهم في محاضره ومجلته ملاحظات قيمة ، وبحوث دقيقة ، ودراسات ممتعة . ثم جاء على أثرهم رئيس مجمعكم الراحل الأمير مصطفى الشهابي ، وكان أميراً حقاً في قوله وعمله ، نعمنا بصحبته ، وأفدنا من درسه وبحثه ، وهو من نعرف وثوقاً في اللغة ، وحجة في علوم النبات والزراعة ، وعمدة في وضع المصطلح العربي وحسن اختياره .

وفي عام ١٩٦٠ أضحى مجمع القاهرة ومجمع دمشق فرعين لأم واحدة هي العربية ، يسهران عليها ، ويتضافران على خدمتها والنهوض بها لكي تستعيد مكانتها بين اللغات العالمية الكبرى . وإن إخاء على هذا النحو ليبقى على الدهر ، وسيوطد أركانه دائماً وحدة الهدف ، وصدق العزيمة والثقة المتبادلة .

ابراهيم بيومي مدكور

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net